ابن حمديس يرثى جاريته

قال الشاعر الوجدانى الوصّاف ابن حمديس يرثى جاريةً له ماتت غريقة فى المركب الذى عطب به فى خروجه من الأندلس الى افريقيّة ، وكان يحبّ هذه الجارية حبّاً جمّاً ، فأوحت لوعتُه على فقدها هذه اليتيمةَ بين نفائس شعر الرثاء

أيا رشاقةَ غُصنِ البانِ ما هصرَكْ ؟ ... ويا تألّفَ نَظْمِ الشملِ مَنْ نثرَكْ ؟
ويا شؤوني ، وشأني كلُّهُ حَزَنٌ ... فُضّي يواقيتَ دمعي واحبسي دُرَرَكْ !
ما خِلْتُ قلبي وتبريحي يقلّبُهُ ... الا جَناحَ قَطاةٍ فى اعتقالِ شرَكْ !
لا صبرَ عنكِ ، وكيف الصّبرُ عنك وقد ... طواكِ عن عَيْنِيَ الموجُ الذى نشرَكْ ؟!
هَلاّ ، وروضةُ ذاك الحسنِ ناضرةٌ ... لا تَلحظُ العينُ فيها ذابلاً زهرَكْ
أماتَكِ البَحْرُ ذو التّيارِ مِنْ حَسَدٍ ... لَمّا درى الدُّرُّ منه حاسداً ثغرَكْ ؟!
وَقَعْتُ فى الدّمْعِ إذْ أغرقتُ فى لُجَجٍ ... قد كاد يَغْمرني منه الذى غمرَكْ !
أيُّ الثلاثةِ أبكى فَقْدَهُ بدَمٍ ... عميمَ خلقِكِ أم مَعناكِ أم صِغَرَكْ ؟
مِنْ أين يقبح أن أفنى عليكِ أسًى ... والحُسْنُ فى كلِّ فنٍّ يقتفى أثرَكْ ؟
كنتِ الشبيبةَ إذ ولّتْ ولا عِوَضٌ ... منها ولو رَبِحَ الدُّنيا الذى خسرَكْ
ما كنتُ عنكِ مُطِيلاً بالهوى سفرى ... وقد أطَلْتِ لحَيْنِي فى البلَى سفرَكْ
هل واصِلِى منكِ الاّ طيفُ مَيّتةٍ ... تَهْدِى لعينيَ مِنْ ذاكِ السكونِ حرَكْ ؟
أعانقُ القبرَ شوقاً وهو مشتملٌ ... عليكِ لو كنتُ فيهِ عالماً خبرَكْ

وددتُ يا نورَ عيني لو وَقَى بصري ... جنادلاً وتراباً لاصقاً لشرَكْ !
أقول للبحرِ إذْ أغشيتُه نظري : ... ما كدَّر العيشَ إلا شُرْبُها كدرَكْ !
هلاَّ كففتَ أُجاجاً منكَ عن أشرٍ ... مِنْ ثغرِ لمياءَ لولا ضعفها أشَرَكْ ؟
هلاَّ نظرتَ إلى تفتيرِ مُقْلتِها ؟ ... إنى لأعجبُ منه كيف ما سحرَكْ !
يا وجهَ جوهرةِ المحجوب عن بَصَرى ... مَنْ ذا يَقيكَ كسوفاً قد علا قمرَكْ ؟
ياجسمَها كيف أخلو مِنْ جَوَى حَزَنى ... وأنتَ خالٍ من الرُّوح الذى عمرَكْ ؟
ليْلى لما أطالَكَ بالأحزانِ مُعْتَنَقَةً ... علىَّ مَنْ كانَ بالأفراح قد قصرَكْ
ما أغفلَ النائمَ المرموسَ فى جَدَثٍ ... عمَّا يُلاقى من التبريح مَنْ سَهِرَكْ !
يا دولةَ الوصلِ إنْ وَلَّيتِ عن بَصَرى ... فالقلبُ يقرا فى صُحفِ الاسى سهرَكْ
لئن وجدتُكِ عنِّى غيرَ نابيةٍ ... فانَّ نفسىَ منها رَبُّها فطرَكْ
إنْ كان أسلمَكِ المضطرُّ عن قدَرٍ ... فلم يَخُنْكِ على حالٍ ولا غدرَكْ
هل كان الاَّ غريقاً رافعاً يَدَهُ ... نَهاهُ عن شُرْبِ كأسٍ مَنْ بها أمرَكْ ؟
وارحمتا لوَلوعٍ بالبكاء فما ... يُنسيهِ ذكرَكِ دَمْعٌ بالهوَى ذكرَكْ
أما عَدَاكِ حِمامٌ عن زيارته ... فكيفَ أطمعَ فيكِ النفسَ وانتظرَكْ ؟
إنْ كان للدَّمعِ فى أرجاءِ وجنتهِ ... تَبَرُّحٌ فهو يبكى بالأسى خفرَكْ
وما نجوتُ بنفسى عنكِ راغبةً ... وانَّما مَدَّ عُمْرِى قاصرٌ عمرَكْ

بين الحياتين

قلتُ والقولُ مُتعتى ونوائى ... وطماحى بغُنيتى وضرارى
للذى أرتجيه وهو مع الغيبِ (م) خليقٌ بنعمةِ الأبرارِ